# أرى العراق طويل الليل !!

## بين نظام غاشم ومصالح دولية انانية ومعارضات فاشلة ضاع العراق !! النفط واسرائيل حجر الزاوية في سياسة امريكا الشرق الاوسطية

---

اصبحت السياسة الخارجية الامريكية اليوم، اكثر من اي وقت مضى، خاضعة للاعتبارات الانتخابية المحلية، خاصة بوجود رئيس ديمقراطي في البيت الابيض بمواجهة كونغرس ذو اغلبية جمهورية.

من هنا اصبح التنافس بين الحزبين شديدا على كسب ود اللوبي اليهودي الامريكي كما تمثل في خطب كلينتون وبوب دول زعيم الاغلبية الجمهورية في اجتماعات "ايباك" (منظمة اللوبي اليهودي في امريكا) في ايار الماضي.

واذا كانت السياسة الخارجية الامريكية تتهم بالغموض والتردد في مناطق مختلفة من العالم، الا انها اكثر وضوحا في قضايا الشرق الاوسط، حيث يتحكم فيها، بعد غياب خطر الاتحاد السوفيتي، ضمان مصادر البترول لصالح الغرب، وحماية اسرائيل من خلال تفوقها العسكري على جيرانها مجتمعين واقامة سلام يكرس هذا التفوق.

واصبح بهذا المعنى اي "تهديد" للنفط او اسرائيل تهديدا لمصالح الولايات المتحدة القومية وهذا يفسر لنا دخول امريكا في حرب ضروس ضد العراق عام 1991، وترددها في ارسال جندي واحد الى البوسنة.

وجاءت حماقة/مأساة احتلال الكويت لتعطي امريكا فرصة تحقيق اهم انتصار استراتيجي لها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. حيث خرج العرب -كل العرب- اضعف مما كانوا عليه قبل الحرب مما جعل من عملية "السلام العربي-الاسرائيلي" ممارسة في املاء شروط لتدشين بداية عصر "السلام الاسرائيلي".

كما اصبح النفط الخليجي، في ظل الحماية الامريكية العسكرية المباشرة، كأنه نفط "امريكي" ينتج لتسديد فواتير الاسلحة ونفقات الوجود العسكري الامريكي في المنطقة باسم حماية تلك الانظمة الخليجية من خطر ايران الاصولية او عراق صدام حسين.

اما "الاحتواء المزدوج" فهو المولود الذي تمخضت عنه حرب الخليج، فبعد تعزز الوجود العسكري الامريكي في الخليج وفرض "السلام" الاسرائيلي على دول الجوار، لم تعد امريكا بحاجة الى "شاه" لحماية الخليج من خطر شيوعي، ولا الى "صدام" لحماية الخليج من خطر "الخمينية". ورفعت واشنطن شعار "محاربة الارهاب" سلاحا بوجه اي مقاومة شعبية للنفوذ الامريكي او الهيمنة الاسرائيلية، فاسلاميو مصر ارهابيون ماداموا يرفضون "السلام" الاسرائيلي، ولكن اسلاميي الجزائر مقبولين ماداموا بعيدين عن تهديد مشروع السلام الاسرائيلي. ويسمح لكوريا الشمالية حيازة مفاعلات نووية لاغراض سلمية ولكن ذات المفاعلات يحرم على ايران امتلاكها مادامت الاخيرة ترفض "السلام"

الاسرائيلي. وان امريكا الحريصة على شمولية معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ترضى عن استمرار اسرائيل في امتلاك القدرة والسلاح النوويين، ولكنها تضغط على مصر وغيرها من الدول العربية للتوقيع غير المشروط على المعاهدة.

## سياسة (ادامة الوضع القائم) خيار امريكا في العراق

- انطلاقا من اهمية النفط واسرائيل في سياسة امريكا في الشرق الاوسط، يصبح عزل العراق وايران عن عملية "السلام" الجارية الان ضرورة لضمان نجاح العملية وذلك باستكمال انضمام سوريا ولبنان اليها. فبغداد اليوم هي ليست بغداد قمة عام 1979 التي تصدت لاتفاقية كامب ديفيد وتمكنت من عزل مصر السادات لسنوات.

- وفي غياب البديل المطلوب امريكيا في العراق، اصبح بقاء نظام صدام حسين في ظل الحصار هو الخيار المفضل فهو الاقل كلفة - عسكريا وماليا- بالنسبة لواشنطن، اضافة الى ما يحققه الحصار من اضعاف شامل لعراق المستقبل، عراق مابعد صدام، بما يجعله مهيئا لقبول "السلام" الاسرائيلي ورهن نفطه للغرب وامريكا بالذات.

- يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة غير مستعدة للتورط في تحمل مسؤولية ادارة الوضع الجديد في العراق في حال قيام اي تغيير غير محسوب.

- ومن المفارقات ان تخدم بغداد السياسة الامريكية من خلال اعطاء امريكا الاعذار في ابقاء الحصار كما ظهر جليا في طريقة تعامل بغداد مع قرار 986 الذي اقره مجلس الامن بالاجماع، وقبل ذلك في تحشيد القوات العراقية بالقرب من حدود الكويت في اكتوبر 1994، وفي تخبطها في التعامل مع لجنة ايكوس الخاصة بالاسلحة.

- وعلى الصعيد النفطي، اصبح وقف تصدير النفط العراقي هدفا مطلوبا لصالح استمرار السعودية والكويت في زيادة انتاجهما النفطي لتغطية العجز المالي في كلا البلدين. كما ان رفع الحصار النفطي عن العراق في ظل حكم صدام حسين يعني عمليا فوز روسيا وفرنسا بحقول النفط العراقية العملاقة على حساب الشركات الامريكية، وعليه لا امل في تغيير موقف امريكا قبل ان تضمن حصتها في نفط عراق المستقبل.

- ومادام الرئيس الامريكي كلينتون في السلطة فيستبعد اي تغيير في موقف حكومته تجاه صدام حسين. فكلينتون الحريص على استطلاعات الرأي العام الامريكي يخشى من الاتهام بتفريطه بالانتصار الذي حققه سلفه بوش، الامر الذي يفسر رفض واشنطن الدخول في اي حوار مع نظام بغداد رغم استعداده للاستجابة للكثير من الرغبات الامريكية.

- ان سياسة الحل المؤجل الامريكية-التي يدفع فواتيرها الشعب العراقي- هي التي دفعت الملك حسين (الحياة 22/6/95) لان يطالب امريكا بحسم موقفها بأسقاط النظام او الدخول في حوار معه.

- يضاف الى ذلك ان دولا كبرى مثل روسيا وفرنسا والصين تود التعامل مع نظام صدام حسين كسلطة فاعلة ولها مصلحة برفع الحصار عنه بأمل استرداد ديونها واستثمار اموالها.

- كل هذه العوامل تجعل من استمرار الوضع الراهن في العراق حجر الزاوية في سياسة امريكا تجاه العراق الى ان يحين الوقت ليسقط نظام بغداد بيد امريكا كالتفاحة الناضجة.

## تناقضات دول الجوار يصب لصالح الحفاظ على الوضع الراهن

- اما بالنسبة لدول الجوار، فان خوفها من البديل غير المحسوب يجعل من بقاء النظام الحالي -وهو ضعيف- خير من التغيير. فالسعودية غير مستعدة لان ترى تغييرا في النظام لصالح الشيعة المتحالفين مع ايران، والعكس صحيح بالنسبة لايران التي تخشى بديلا امريكي الميل يزيد من عزلتها، بينما استمرار العراق ضعيفا معاديا لامريكا سيبقيه بحاجة لطهران.

ولتركيا كل المصلحة في حكم مركزي قوي في بغداد يضمن لجم الطموح الكردي، خاصة وان كلفة حماية حدودها مع العراق باتت مكلفة، لذا فانقرة تضغط اليوم على اكراد العراق للتفاوض مع بغداد.

وقد تكون دمشق اكثر من غيرها خوفا من تغيير غير محسوب في بغداد، فأي بديل اسلامي شيعي سيعني تعزيزا لايران وتيار العداء للتسوية مما يحرج سوريا. واذا جاء نظام موالٍ لامريكا (المؤتمر الوطني) فسيعني مزيدا من الضغط الامريكي لتحقيق مزيدا من التنازلات السورية لصالح اسرائيل.

اما الاردن، الذي يشكل العراق شريانه الاقتصادي، فهو مع مايفتح اسواق العراق ويشركه في لعبة التسوية السياسية مع اسرائيل، وهو بذلك يلتقي مع منظمة التحرير الفلسطينية في الهدف. فكلا الطرفين يسعيان لاقناع امريكا واسرائيل بجدوى مشاركة عراق صدام حسين في التسوية. من هذا المنطلق ليس لهما مصلحة في دخول لعبة التغيير في بغداد.

## مازق المعارضات العراقية

اذا كان العاملان الدولي والاقليمي ليسا في صالح التغيير القريب في العراق، فان العامل الداخلي ابعد ما يكون عن القدرة على تحقيق التغيير، فرغم تأكل الوضع الداخلي اقتصاديا واجتماعيا وحتى عسكريا، الا ان الخارطة السياسية العراقية الداخلية تعكس تناقضات- ساعد النظام وقوى خارجية على تنميتها- تجعل من الصعب تجاوزها لصالح التغيير الشامل. فسياسة الارهاب والقمع الداخلي اضافة الى الانقسامات العرقية والطائفية والفئوية شلت

قدرة المعارضة او المعارضات العراقية على التصدي لمهمة اسقاط النظام في اطار مشروع وطني شامل، حتى بات الكثير يعول على التغيير من داخل النظام عبر انقلاب عسكري او من داخل القصر.

- ساعدت واشنطن ودعمت المؤتمر الوطني العراقي كواجهة سياسية واعلامية معارضة لصدام، باعتبار ان "مؤامرة" الانقلاب ستعد في مطبخ واشنطن. وفي انتظار "الانقلاب"المؤجل، فشل المؤتمر الوطني في ان يصبح مؤسسة توفر من خلال ممارساتها العملية نموذجا ديمقراطيا يحتذى به وبالتالي قادرا على تجميع القوى العراقية. واليوم نرى هذا "المؤتمر" بعد مضي مايقرب من ثلاثة سنوات على قيامه، هو اضعف مما كان عليه قبل عامين والبعض يشك في قدرته على تجاوز أزمته في ظل الصراع الكردي-الكردي والانسحابات الفردية والجماعية من هيئاته، ليصبح المؤتمر في واقع الحال حزبا جديدا يضاف الى احزاب المعارضة الاخرى.

- راهن البعض على "الامبريالية" و "الصهيونية" لاسقاط صدام حسين. ولكن فات هذه الاطراف ان اولويات واشنطن وتل ابيب لاتضع التغيير في العراق في صدارة مهامها الآنية، الامر الذي دفع البعض الاخر من قادة المؤتمر الوطني للتشكيك في جدية الموقف الامريكي من اسقاط نظام بغداد.

- اما المعارضات العراقية ذات الاعتماد على دول الجوار، فهي اسيرة مواقف هذه الدول. ف "التيار القومي" اسير الحذر السوري تجاه القضية العراقية، المشغول عنها بسبب اولوية "التسوية".

-اما التيارالاسلامي السياسي، فجناحه الشيعي الذي يتخذ من طهران قاعدة له، اصبح اسير الموقف الايراني بكل تناقضاته، وكذلك حال التيار الاسلامي السني الذي اعتمد على دعم السعودية. ومن المفارقات ان يحارب صدام حسين كلا التياريين دون ان يؤدي ذلك الى وحدة التيارين الموغلين في صراعاتهم الداخلية والجانبية.

وان من المفارقات "المضحكة" ان يؤدي انتعاش التيار الاسلامي الشيعي في العراق الى تعزيز قناعة الغرب وامريكا بالذات بضرورة ان يكون بديل صدام حسين حاكما عسكريا سنيا عربيا، رغم كل محاولات كسب ود امريكا الذي قامت به شخصيات شيعية "معممة" وغير "معممة".

- اما التيار "الديمقراطي" وهي اشارة الى التيار الذي كان يقوده الحزب الشيوعي العراقي، ابان عنفوانه في الستينات، فقد خسر مواقعه تدريجيا لا بسبب سقوط الاتحاد السوفيتي فحسب، بل نتيجة القمع الحكومي من جهة وضغوط التيارات القومية الكردية والطائفية الاسلامية، ليهمش دوره الى تنظيم بحاجة لحماية الاحزاب الكردية او معونة "المؤتمر الوطني". وتحول الجناح الفاعل منه الى حزب للمثقفين الشيوعيين المغتربين في الخارج.

-اتيحت للتيار القومي الكردي فرصة تاريخية في المساهمة في صياغة المشروع الوطني العراقي بما يعطي الاكراد حقوقهم، ولكن اثبت هذا التيار من خلال صراع اكبر حزبين قياديين بانه جزء من المشكلة وليس الحل للمشكلة. ونتيجة هذا الصراع الداخلي اصبحت الاحزاب الكردية ضحية حاجتها للعون الاجنبي، فبعد ان كانت واشنطن تلعب

الدور الحاسم في تصرف هذه الاحزاب وجدت اطراف الصراع الكردي ضرورة في تحالفها مع دول الجوار-ايران وتركيا.

ومن المفارقات ان تصبح طهران اليوم صاحبة النفوذ الاكبر في صفوف الطالبانيين، بل وحتى في مناطق كردية اخرى. كما يجد البارزاني من التحالف مع انقرة ضرورة لابد منها لديمومة سيطرته على مناطق نفوذه التقليدية.

ان المشروع القومي الكردي المتمثل بالحزبين الكرديين الكبيرين فشل في اقامة التجربة الديمقراطية في كردستان العراق، ناهيك عن امكانية اسقاط نظام بغداد واقامة البديل الديمقراطي.

## النظام وعقلية ( الأسر)

لقد اصبح نهج الحكم في العراق محكوما بعقلية "الاسر" بكل مافيها من عقد ومخاوف. ان عقلية الأسر (Siege Mentality) ترى في اي تحرك للاخرين مؤامرة، وفي اي انفتاح داخلي خطر، واي حوار او مشاركة للاخرين دلالة ضعف يجب تحاشيها.

ان مثل هذه العقلية رفضت وترفض دعوات الحوار والانفتاح والمراجعة التي اطلقتها اكثر من شخصية وطرف عراقي، واذا كان النظام رافضا للاخرين بحجة وجودهم في الخارج فليبدأ النظام بعراقيي الداخل وعلى اقل تقدير باعضاء حزبه، ان الحرية والديمقراطية الممنوعة على اعضاء حزب السلطة، لا امل في وصولها لابناء الشعب. ان اضطرابات الرمادي وابو غريب الاخيرة هي في جوهرها تعبير عن حالة القهر وسياسة الغاء الاخرين رغم كونهم جزء من قاعدة النظام. ومثل هذه العقلية قد تستطيع ان تحمي النظام لامد، قصير او طويل، ولكنها بدون شك لايمكنها انقاذ العراق من مأساته الانسانية.

كتب عضو القيادة القطرية، عبد الغني عبد الغفور في معرض حديثه عن "ديمقراطية" نظام بغداد يقول (الجمهورية 25/4/1995): "تحت قيادة الرئس صدام حسين قامت اول تجربة تعددية حزبية عربية حقيقية في الوطن العربي منذ السبعينيات". اكتفي بالقول:

اذا كان السيد عبد الغفور مضطرا لهذا النفاق فهذه مصيبة، ولكن اذا كان مؤمنا بهذا القول فالمصيبة اعظم.

اما الدكتور سعدون حمادي فقد كتب (الجمهورية 23/5/95) يبرر غياب المؤسسات الدستورية من احزاب وصحافة وغيرها قائلاً:

(اما لماذا لم تدخل تلك المبادرات لحد الان حيز التطبيق فالسبب واضح يتعلق بالظروف الاستثنائية التي تهدد كيان العراق اذ ليس هناك من مستعد ان يختار الفوضى او تفكيك الوحدة الوطنية ورجوع نفوذ الاستعمار والصهيونية والعملاء مجددا تحت ستار الديمقراطية الغربية، كماحدث في بلدان اخرى).

من حق الدكتور حمادي ان يشكر على عدم تكرار نفاق السيد عبد الغفور حول ممارسة النظام للديمقراطية، الا انه يبقى مضطرا لتبرير الانفراد بالحكم بحجة "الظروف الاستثنائية" متناسيا ان البعث يحكم منذ عام 1968، وان اسرائيل التي تعيش حالة حرب منذ وجدت تمارس الديمقراطية ضمن قواعدها اليهودية، كما لم تتخل الهند عن الديمقراطية رغم سلسلة الحروب والمآسي.

ويذهب د.حمادي قائلاً (انني افهم الوطنية على اساس ان يقف المواطن مع وطنه عندما يكون الوطن في أزمة ومعرضا للخطر بغض النظر عن اي شيء اخر شخصي او غير شخصي وليس على اساس معادلة لفظية مفادها "انني متعاطف مع شعب العراق الذي يقاسي من الحصار الا انني ضد نظامه" فذلك يؤدي عمليا الى الضرر بقضية الوطن حتى لو افترضنا سلامة النية).

ان استحقاق الحرية هو مطلب وطني تفرضه ضرورة حماية الوطن، وليس مشروعا مؤجلا لحين يقتنع الحاكم، خاصة وان النظام الحالي يتحمل المسؤولية الاولى فيما وصل اليه العراق.

كما ان الحرص على انهاء الحصار الظالم على شعب العراق هو الذي يفرض على النظام الانفتاح والمراجعة بما يعيد تأهيله شعبيا ودوليا، ولكن للاسف حتى طريقة تعامل النظام مع قرارات الحصار ادت الى اطالة عمر الحصار. وان الاصوات العراقية التي تنادي بالحوار الوطني والمصالحة الوطنية هي التي اعطت الاولوية للاعتبار الوطني قبل الذاتي ومع ذلك لم تجد اي استجابة من النظام.

ولكن "المعادلة اللفظية" التي تجعل من سلامة النظام بديلا عن سلامة الوطن، وسلامة النظام في سلامة الفرد الحاكم هي احد ابرز عناصر "الوصفه" التي ستقود البلاد للانهيار.

اما عناصر "وصفة" الانهيار الاخرى فتكمن في الموقف الامريكي والحصار من جهة ونهج المعارضات العراقية الفاشل من جهة اخرى.

فبين انتظار مشاريع امريكا بـ"التغيير" المؤجل، وبين انتظار "مكرمة" النظام بالديمقراطية ضاع العراق.

ليس هناك وصفة سحرية لانقاذ العراق، ولكن بداية اية رحلة طويلة تبدأ بخطوة واحدة.

(الملف العراقي، العدد 44 - تموز 1995)

❊ ❊ ❊

لان الاستعداد للحوار ومشاركة الاخرين تتطلب ثقة بالنفس والشعور بالطمئنية وهذا ما يفقده النظام اليوم الذي يريد كل يوم ومن كل من هو حوله تأكيدا دائما بالولاء المطلق.